سير أعلام شهداء الثورة السورية

القائد العسكري أبو طارق 800 - زياد أبو حمد

جمع و ترتيب : أبي الوليد الحنفي

ربيع الأول 1443 هـ

المقدمة

الحمد لله الذي اصطفى محمدا على البشر، وجعل رسالته عامة لأهل الوبر والمدر، وفرض عليه الجهاد لتأديب من عاند الحق واستكبر، والصلاة والسلام على صاحب الشفاعة العظمى في أرض المحشر والمنشر، وعلى آله وصحبه المصابيح الغرر، ومن اتبع سبيلهم وسار على هداهم إلى يوم البعث الأكبر.. وبعد؛

فهذه سيرة القائد العسكري الأبي الخفي التقي الصبور، عضو شورى كتائب حمزة بن عبد المطلب، من لم تقطعه الإعاقة عن متابعة درب الجهاد، ولم تثنه الجراح عن مواصلة الكفاح، «زياد أبو حمد» المكنى بأبي طارق 800.

وقد اعتمدت في تدوين سيرته على شهادة إخوانه وأصحابه، وهم:

- الشيخ أبو أحمد الصيدلي.
- القائد العسكري أبو مصعب الزبداني.
- الشيخ أبو سارية الزبداني.
- القائد العسكري أبو مالك الزبداني.
- الأخ أبو خليل 91.
- الأخ أبو عبد الحميد فيلق.
- فراس أبو علي الزبداني.
- أبو علي ت11.

ولادته ونشأته:

ولد زياد أبو حمد في مدينة الزبداني عام 1985م في أسرة طيبة مشهرة بحسن الخلق والالتزام الديني، ففي أسرتهم عدد من المنتمين إلى التنظيمات الإسلامية، بعضهم اعتقل وبعضهم ملاحق.

أسرته أسرة فقيرة، وبيتهم من البيوت القليلة في الزبداني التي لا تزال من اللبن، وهم بشكل عام يعملون بالزراعة.

يقول الشيخ أبو أحمد الصيدلي: أسرته التي نشأ فيها أصحاب خير وسعة صدر وأخلاق رفيعة.

ومنذ صغره كان متحملا لمسؤولية إعالة أسرته، فقد كان لأبيه ظرف خاص يعوقه عن العمل، فوقعت المسؤولية على الذكور من أولاده، فكان أبو طارق يدرس الابتدائية ثم يرجع من المدرسة ليعمل، ولم يكمل دراسته لذلك، فهو لم يحصل على الشهادة الإعدادية لاستغراق العمل وقته.

كان يعمل طيّانا (مُلَيِّساً) وهذا العمل أكسبه قوة بدنية ولياقة عالية لما يتطلب من جهد وعزيمة، وكانت المدة الممتدة من عام 2005 إلى 2010 مدة ازدهار مادي لأبي طارق قام فيها بحق الله في ماله.

وكان لنشأته على الشدة والعطاء أثر في تكوين شخصيته، وبرز ذلك جليا في الثورة في صبره وتحمله وبذله.

يقول الشيخ أبو سارية: لم يعهد عليه طيش الشباب، بل كانت أخلاقه دمثة يحترم الصغير ويجل الكبير.

التحق بما يسمى خدمة العلم الإلزامية، ونظرا لقوة جسده فقد فرز ليكون ضمن القوات الخاصة، وكانت خدمته في شرقي سورية، وقد زاد جسمه قوة بسبب ذلك، إضافة إلى كونه كان يلعب الرياضة في ناد للحديد.

تزوج أبو طارق قبل الثورة بعام، ورزق بطفلة عام 2014 اسمها مؤمنة.

التحاقه بالثورة:

نشأته الملتزمة والتربية التي تلقاها في بيت أهله، جعلته ساخطا على النظام ناقما على عسفه وجوره وتحكمه في رقاب العباد، ولذلك ما إن بزغت الخيوط الأولى لفجر الثورة حتى كان أبو طارق في أوائل صفوف المتظاهرين يشاركهم نشاطهم.

يقول الشيخ أبو سارية: التحق بالثورة في أول مظاهرة خرجت في الزبداني، وكان وإخوته لا يدعون مظاهرة إلا ويشاركون فيها، ثم كان يشارك في إضرابات الزبداني.

ثم تحول إلى الجهاد المسلح بعد الجهاد السلمي، وذهب إلى أبي مصعب، وطلب منه أن يساعده في شراء بندقية، فتم الأمر واشترى أبو طارق بندقية من ماله الخاص ليجاهد بنفسه وماله.

يقول الشيخ أبو سارية: كان يشارك في حماية المتظاهرات، وكان لديه مسدس قبل الثورة.

المعارك التي شارك فيها:

يمكن القول: إنه ما من معركة من المعارك التي جرت في الزبداني إلا شارك فيها أبو طارق؛ بدءا من حملة أبي نمر، ثم حملة شباط، ثم سلسلة الكمائن وعمليات الاغتيال، ثم سلسلة معارك ضرب الحواجز، ثم معركة ضرب حاجزي الشلاح والزعطوط، وانتهاء بالحملة الأخيرة عام 2015، والتي انتهت بالحصار الخانق على الزبداني وبدء المجاعة الكبرى بعد إيقاف القتال وربط ملف الزبداني ومضايا بملف الفوعة وكفريا.

يقول أبو سارية: عندما بدأت حملة أبي نمر كان من الفاعلين في صد العدوان، وبرز اسم أبي طارق مع بعض الإخوة في الخطوط الأولى.

يقول أبو مصعب: وفي حملة شباط رأيته نائما على تلة من تراب تحت المطر.

ويقول أبو سارية: أعد النظام لحملة شباط، وكان معه أربعمائة آلية وخمسة عشر ألف جندي، وأما المجاهدون فقد كان عددهم ما بين المائتين إلى الثلاثمائة، وقد شارك أبو طارق إخوانه في صد الحملة، ولكنها كانت فوق الطاقة، واستمرت ثمانية أيام استشهد فيها أحد عشر شهيدا، ثم انحاز الثوار إلى الجبال والبساتين أو اختفوا في الزبداني، ودخل الجيش الزبداني ولكن دخول المتوجس، وكان أبو طارق ممن اختفى، حتى أعاد المجاهدون ترتيب صفوفهم ولملمة شملهم وعادوا إلى الزبداني التي أكثر فيها النظام من نشر الحواجز وضرب حولها ثلاثة أطواق فيها أكثر من مائة حاجز وستة مرابض للمدفعية، ثم بدأ العمل العسكري لتحرير الحواجز، وكانت منطقة المجاهدين ساقطة عسكريا، ولكن بفضل الله أولا ثم ثبات المجاهدين صمدت وأذاقت النظام الويلات، وكان أبو طارق مسؤولا عن كتيبة المهام الخاصة التي نفذت عددا من الأعمال الخطرة.

وتمكن الثوار من إخراج النظام إلى أطراف البلد، فظل فيها وعلى المرتفعات.

كان أبو طارق ذاهبا مع اثنين من المجاهدين يستطلعون، وكان الضباب يغطي المكان، ففوجئوا بسيارات للنظام تحمل عناصر، فظن العساكر أن أبا طارق ومن معه صديق، فبادرهم المجاهدون بإطلاق النار فقتلوهم جميعا وكانوا عشرين عنصرا.

بتر رجله:

كان أبو طارق مسؤولا عن كتيبة المهام الخاصة في الزبداني، وكان كثير الخروج في جولات استطلاعية، وذات مرة ذهب ليستطلع في الجبل الغربي وهو لا يزال في مرحلة النقاهة من جرحه الذي أصيب به في شير القتلى، واتجه إلى طريق معدر - عطيب، وهو طريق سري للحزب الرافضي اللبناني يمتد من جديدة يابوس إلى الأراضي اللبنانية، وفي أثناء تسلله إلى هذا الطريق وقرب ساتر انفجر به لغم، وكانت عملية إخلائه صعبة، فحمله إخوانه وساروا به وقد قطعت رجله، غير أنها بقيت معلقة بالعصب، وتضررت الرجل الأخرى أيضا.

يقول أبو خليل: كنت معه عندما انفجر به اللغم فشاهدت من صبره عجبا، ما سمعته يتأوه قط، غير أنه كان يردد: لا إله إلا الله.

نقل إلى الزبداني مباشرة؛ حيث أجريت له عملية البتر من تحت الركبة.

يقول أبو سارية: كنت قربه عندما استيقظ بعد العملية، استيقظ فلم يجد رجله، فدمعت عيناه وقال: ليتها كانت شهادة، فقلت له: إن شاء الله ستتجاوز هذه المحنة وتعود أفضل مما كنت، وقد بقي شهرين ثم نقل إلى لبنان.

ويقول أبو مالك: جلست عنده في النقطة الطبية بعد بتر رجله فلم أسمعه يتأوه قط.

يقول الصيدلي: بسبب النقص في المعدات الطبية في الزبداني تقرر نقله إلى لبنان بعد أن تحسنت حاله؛ ليتم تركيب طرف صناعي له، والطريق الذي يجب أن يقطع مشيا بين لبنان والزبداني قرابة عشرين كيلو مترا، ولا تقطع إلا سيرا على الأقدام بسبب كثافة حواجز النظام وتلغيم الطرقات، وقد أعد له الشباب الذين سينقلونه محفة ليحملوه فيها، ولكنه أبى إلا أن يسير على العكازات، مع أن الطريق صعود والمشي فيه شاق على الإنسان السليم فضلا عن الجريح، ولم يتضايق أبو طارق من بتر رجله إلا لأنه رأى أنه لم يعد بإمكانه أن يقدم كما كان يفعل قبل ذلك.

يقول أبو علي ت11: كنت ممن نقله إلى الحدود اللبنانية بعد بتر رجله، وكنا أعددنا له حصانا فكان يركب أحيانا وينزل فيمشي أحيانا إذا أصبح التوازن على الحصان متعذرا لوعورة الطريق وشدته، فكان ينزل ويمشي على العكازات، والمائة متر في هذا الطريق تساوي ألف متر في السهل.

اعتقاله في لبنان:

وصل أبو طارق إلى لبنان وأجرى عملية تصحيح بتر أولا ثم تركيب طرف صناعي، وكان معه جواله الذي يحتوي على المكالمات بينه وبين المجاهدين عندما كان في الزبداني، وشاء الله أن يقوم الحزب الرافضي بإلقاء القبض عليه، فقد أوقفه حاجز وفتش جهازه فوجد فيه اتصالا مع المجاهدين وكلاما عن الأسلحة وكان ذلك في عام 2013 .

وسيق إلى معتقلات الحزب، ولما دخلها قال لهم: دعوني حتى أفك الجهاز، فانفضوا من حوله بذعر شديد ظانين أنه يحمل حزاما ناسفا، فقال لهم: إنما هو طرف صناعي لرجلي، وقد تمكن الحزب من استرجاع المعلومات التي كانت في هاتفه المحمول وعلموا أنه قيادي في الزبداني، فحاولوا انتزاع الاعترافات منه بشتى وسائل التعذيب، إلا أن الله ثبته وربط على قلبه فلم يبح لهم بشيء وأنكر أن تكون المعلومات في الجوال تخصه، وقال: هذا الجوال ليس لي وأصر على الإنكار حتى فرّج الله عنه وأطلق سراحه، فعاد إلى الزبداني، وأيضا كان عليه أن يسير عشرين كيلو متر على قدميه، وكان قبل نزوله بيوم استشهد ستة مجاهدين على الطريق ذاته، إلا أن أبا طارق أصر على النزول.

عاد أبو طارق إلى الزبداني مجددا ليتابع عمله، وكأن رجله لم تقطع أصلا، حتى إن من لا يعرفه لا يظن قط أن رجله مبتورة، فقد عاد ليتابع عمله مسؤولا عن كتيبة المهام الخاصة ويشارك في المعارك.

يقول أبو عبد الحميد: استمر يمشي في طريق عودته من الثامنة ليلا إلى الثالثة فجرا .

تسلمه مسؤولية الجبل الغربي:

يقول أبو سارية: أردنا أن تكون المرتفعات الجبلية ظهرا لنا نلجأ إليها، وكانت مليئة بالحواجز، فعملنا على تحرير بعضها وغنمنا منها سلاحا ثقيلا، وقد حوصر بعض

المجاهدين في شير القتلى فكان أبو طارق من الملبين لنداء المؤازرة، وقد أصيب بطلقة فسقط على الأرض وبقي ممددا عليها دون أن يقدر الشباب على إخلائه مدة أربع ساعات، حتى حل الظلام، وكانت الطلقة التي أصابته متفجرة.

يقول أبو مصعب: وقد جرح أبو طارق مرة ثانية عندما خرج مؤازرة إلى الجبل الغربي فأصابته طلقة في ظهره فأنزله الشباب على أكتافهم، وسرعان ما كتب الله له الشفاء، وجرح جروحا طفيفة عندما طلب المجاهدون مؤازرة إلى منطقة الكازية فذهب إلى هناك وبعد نصف ساعة عاد محمولا بعد سقوط قذيفة قربه، وعاد الشباب ليبحثوا له عن طرفه الذي طار بعد سقوط القذيفة.

ثم جرت معركة تحرير حاجزي المزبلة وظهر القضيب وصرنا على حدود لبنان وكان أبو طارق على رأس المشاركين في الصد.

أما في الاقتحام فقد كان دور كتيبة المهام تطويق المكان وترك فرجة ليهرب منها العساكر والقبض على الضباط خاصة، ولما فر العساكر كان الضباب شديدا فضلوا الطريق وصاروا في مواجهة الشباب ومعهم أبو طارق ففتحوا عليهم النيران وقتلوا عددا منهم.

شعر النظام والحزب اللبناني الرافضي بالخطر، فأعد حملة ضخمة تمكن فيها من استعادة تلك النقاط، واستشهد في تلك المعركة أخو أبي طارق ويدعى ياسرا، وكانت قيادة المعركة للحزب وقد وضع فيها ثقله؛ لأن تلك المنطقة تعتبر بوابة دمشق وطريق عبور الحزب وشريانه، واستمرار سيطرة المجاهدين عليها يعني قطع إمداده.

كان أبو طارق يجيد استخدام سلاح الدوشكا و 14‘5 ودرب عليهما بعض الشباب في دورة خاصة، كما كان يجيد الرمي على قاذفي ب 9 وب 10، وهو رام ماهر جدا بالبندقية يكاد لا يخطئ، وقد عمل دورة بي إم بي.

يقول أبو مالك: تسلل الحزب مرة على موقع الفيل واشتبك مع المجاهدين، فطلبوا مؤازرة، وكان النظام يضرب الطريق بقذائف مضادة للدروع، والمرور خطر جدا، فأخذ أبو طارق دراجة نارية -وكان الوقت ظهرا- وانطلق نحو الشباب، فرماه النظام بثلاث قذائف أنجاه الله منها، ثم كمن قليلا وعاد ليتابع طريقه حتى وصل إلى المجاهدين، فأعطاهم الذخيرة واستمر يقاتل معهم إلى المغرب حتى جاء التبديل.
ويقول فراس أبو علي: طلب المجاهدون مؤازرة في إحدى المرات، والطريق إليهم يستغرق أكثر من ربع ساعة عادة، فركب دراجة نارية ووصل إليهم في أربع دقائق.
وشارك أبو طارق في ضرب حاجز عين الرملة.

يقول أبو عبد الحميد: كنت قربه عندما ضربنا حاجز عين الرملة، وقد رماه أبو طارق بقذيفتين ثم علق غلاف الثالثة الكرتوني في القاذف فتركها، فأخذتها ورميتها وثلاث قذائف أيضا، أما الضيغم فقد رمى الحاجز بقذيفتي كوستاف.

وكانت كتيبة المهام الخاصة تتنافس مع مجموعة أبي علي 150 على ضرب النظام، ولا تُعلم واحدة منهما الأخرى بضرباتها، فلقي أبو طارق مرة شابا من مجموعة أبي علي في بستان، وكان النظام يحاول إصلاح دبابة له في قلعة التل وهي لا تتحرك، فقام برمي قذائف منها لترجع إلى الوراء، فظن أبو طارق أنها ترمي ردا على عمل قام به المجاهدون، فسأل الشاب: ماذا عملتم؟ فقال: لا أعرف هذه عودتي من عملي، ولم أفعل أي شيء.

وأما قوته البدنية ولياقيه العالية فكانت محط الأنظار.

يقول أبو أحمد: تبارى المجاهدون يوما من يقدر أن يمسك البندقية بيد واحدة وهي ممدودة؟ فأخذ كل شاب يمسك بها ويسجل الوقت الذي استطاعه، فلما جاء دور أبي طارق أمسكها ولم يعد يفلتها حتى كَلّ الشباب من حساب الوقت له، وكان ذلك بعد بتر رجله، فشعرنا أن الله عوضه قوة في يده، وكان في الرياضة من المتفوقين دائما.

يقول أبو أحمد: أحضر الشباب إليّ أبا طارق مرارا إلى النقطة الطبية بدون طرفه الصناعي الذي يكون قد طار أثناء المعركة، فكنت أرسلهم للبحث عنه، وذات مرة انكسرت قطعة معدنية في الطرف وبديلها غير متوفر، فقام الشباب العاملين في المخرطة بصناعة قطعة مدنية شبيهة بها، إلا أنها كانت أثقل منها قليلا، واستطاع أبو طارق أن يعتاد على ذلك.

ويقول أبو عبد الحميد: أصيب في معركة وحدة الماء فصار في جانب والطرف في جانب آخر.

ويقول أبو علي ت11: نزل مؤازرة إلى السيلان، وعند عودته قطع شارعا مرصودا، فأصيب وانفلت الطرف منه، فسحبه الإخوة ثم سحبوا طرفه.

وشارك أبو طارق في معركة حاجز قلعة التل، وكانت ضربة استباقية من المجاهدين، وغنموا منها أسلحة ثقيلة ومتوسطة وأسروا من النظام، ثم كانت الحملة الأخيرة في 15/ 7/ 2015 وقد أعد لها النظام والحزب سنة ونصف، وبدأ التمهيد بأنواع الأسلحة كافة، حتى إنه يخيل للناظر أنه لن يخرج أحد من الزبداني حيا، وأصيب أبو طارق في بداية الحملة في شظية تحت الكتف، فاستراح يوما أو اثنين ثم عاد إلى العمل في ساحة المعركة، ثم أصيب مرة أخرى إصابة طفيفة، ثم إصابة ثالثة امتلأ جسمه فيها بالشظايا من مفرق رأسه إلى أخمص قدميه، ولكنها كانت جميعا سطحية، وقد استمرت الحملة ثلاثة وثمانين يوما، وقد استشهد كثير من المجاهدين وهم يصدون حملة النظام قيادات من الصف الأول والثاني وجنودا، وبعد الإصابات الثلاثة صار يعمل في غرفة العمليات، وعند الضغط كان ينزل بنفسه.

عملية نوعية:

يقول الصيدلي: بعد اشتداد القصف بدأ النزوح خاصة بعد ازدياد القصف بالطيران الحربي والمروحي، وتواترت الأخبار عن قرب قيام النظام بالحملة، ففر الصف الأول والثاني والثالث من الطبيين، ولم يعد يوجد أي طبيب جراح، وأما أنا فمعلوماتي

في الطب لها حدود معينة، وهي كل شيء سوى فتح البطن لم أكن وقتها أعرف كيفية إجراء العمليات الجراحية، لم أكن وقتها قمت بأي عملية فتح بطن، غير أني شاهدت الأطباء وهم يجرون هذا النوع من العمليات، وعندي شيء من الأرضية، فأصيب أخ وعمليته تحتاج فتح بطن، فعزمت على ذلك مهما كلف الأمر، فهذه الفرصة الوحيدة لنجاته؛ لأن تسليمه للنظام يعني قتله، وتركه بلا عملية يعني النتيجة ذاتها، وبتوجيه من الشيخ أبي عدنان ذهب أبو طارق مع بعض الإخوة - عبر أنفاق كنا حفرناها تصلنا بمناطق مهادنة للنظام - إلى منطقة قريبة منا وأحضروا طبيبا جراحا بطريقة انغماسية كي يجري عملية فتح البطن أو يشرف عليها إن لم يرغب بإجرائها بنفسه، وتم إحضار الطبيب الجراح بنجاح تام قبل أن ننتهي من العملية، ثم إن هذا الطبيب أحبنا وبقي معنا يعمل في مجاله طوال مدة الحملة بإرادته التامة، وكان يستطيع الخروج في أي وقت غير أنه آثر البقاء مجاهدا، وكان له نفع كبير أثناء الحملة وبعدها، ثم كان أن ختم الله له بالشهادة.

يقول أبو أحمد: وفي الحملة الأخيرة على الزبداني أبلى أبو طارق بلاء شديدا، وتسلم القيادة بعد استشهاد أبي علي 150 القائد الكفء، فحاول سد الثغر، ولم يشعر الناس بكبير فرق بين قيادة القائدين، مع أن الوقت الذي تسلم فيه أبو طارق القيادة كان صعبا جدا، فالنقص في الذخائر والمعدات شديد والحملة تزداد شراسة.

ويقول: ومع كل المهام الموكلة إليه فقد اتصل بي يوما وكلمني بالألغاز طالبا مني نقل أسرتي إلى مكان أكثر أمنا؛ لأن النظام والحزب قد يتقدم إلى المكان الذين هم فيه.

أخلاقه:

كان أبـو طـارق صبـورا جـدا؛ فقـد صبـر على فقـد رجلـه وصبـر على الشـدائد وصبـر في المعـارك وصبـر في المجاعـة الكبـرى.

يقـول أبـو أحمـد: كان مـن أصبـر النـاس على الجـوع، لـم أسـمع منـه كلمـة جائـع قـط، ولا أي كلمـة أخـرى تنـم عـن خلـل في الصبـر، مـع طـول مصاحبتـي لـه في مـدة المجاعـة.

ويقـول أبـو سـارية: كان الحصـار خانقـا يـكاد يكـون في كل بيـت نقطـة عسـكرية للنظـام، فمحاولـة الخـروج مسـتحيلة، ولـم يكـن طوقـا واحـدا بـل ثلاثـة أطـواق، فيهم خمسـة آلاف عسـكري، فعـم الجـوع الجميـع، وأثـر ذلـك على أبـي طـارق جـدا، حتـى إنـه كان يلـف على رجلـه خرقـة لتناسـب قيـاس الطـرف الصناعـي بعـد أن اختـلّ القيـاس بسـبب النحافـة والهـزال، وكان لعلـو همتـه لا يبالـي بالحصـار فالمـوت والحيـاة عنـده سـيان.

ويقـول فـراس: كان يشـتري الطعـام ويخزنـه، ويغمـى عليـه أحيانـا لشـدة الجـوع، ولا يذوق منـه حبـة دون إخوانه.

ويقـول أبـو مالـك: كان صاحـب ورع شـديد، كان الطعـام أثنـاء الحصـار يدخـل عـن طريقـه، ولـم يعهـد عليـه أنـه اسـتأثر بحبـة منـه دون الآخريـن، مع شـدة حاجتـه وضعفه الجسـدي، فقـد كان الشـيخ أبـو أحمـد الصيدلـي يكثـر من حقنـه بإبـر الفيتاميـن ليقـوى على الحركة. ويقـول: كان صاحـب خبـرة عسـكرية نـادرة؛ تجـده في كل شـدة، يعمـل أكثـر مـن الإنسـان السـليم، فقـد في الثـورة مالـه وبيتـه الـذي قصفـه النظـام فتحـول إلـى كومـة مـن الأنقـاض، تسـلم القيـادة العسـكرية في أحلـك الظـروف ومـع ذلـك لـم أمـرّ عليـه مـرة فرأيـت فيـه تشـاؤما، دائمـا يـردد: حسـبنا الله ونعـم الوكيـل، الله لـن يضيعنـا، لم أسـمعه مـرة يحبـط المعنويـات، بـل دائمـا يرفعهـا ويشـجع الشـباب.

ويقـول أبـو خليـل: كان لا يرسـل الشـباب إلـى عمـل إلا وهـو على رأسـهم، والشـباب جميعا يحبونـه ولـه قبـول بينهـم، ولحسـن خلقـه وإقدامـه يجعـل الشـباب معـه لا يملكـون إلا

أن يسمعوا ويطيعوا، كان لا يهاب الموت ولا يختبئ عند القصف، يحب خدمة إخوانه حتى إنه كان يأخذ دور غيره في تنظيف الأواني والصحون.

ويقول فراس: تلمح فيه صفة الرجولة ظاهرة، كان قدوة بكل شيء، جميع الشباب الذين كانوا معه إما استشهدوا وإما اكتسبوا خبرات جعلتهم أهلا لتسلم بعض المفاصل، لم يترك من مجموعته سوى شخص أو اثنين، كان يشاركنا في كل صغيرة وكبيرة ويتقدمنا في الاستطلاع والمهام القتالية، وقد زاد نشاطه وعلت همته أكثر بعد قطع رجله.

ويقول أبو مالك: كانت هناك دروس للمجاهدين يتناوبون عليها؛ فكانت دروس أبي طارق في وقت غير وقت دروسنا، وكانت نوبته في تنظيف الأواني والصحون وقد فنيت المنظفات، فوضع أبو طارق الأواني والصحون في برميل أزرق فيه ماء، ثم وضع فيه أربعة أقراص كلور -وهي توضع عادة لمسبح كبير- ثم غطاه، فلما قام بفتحه أغمي عليه لقوة رائحة الكلور، فخرجنا لنجده ملقى على الأرض وهو فاقد الوعي.
ويقول أبو سارية: كان عنده إقدام شديد، جريء، هادئ، يستطيع السيطرة على أعصابه، له إرادة صلبة، متفان في خدمة إخوانه يسابق إليها، ذِكر اسمه يرعب النظام ويصيبه بالذعر ويبعث في قلب المجاهدين الحماسة والإقدام، كل من بتر طرفه بعده كان يواسى بأبي طارق، فيقال له: هذا أبو طارق بترت رجله ثم هو يذهب ويجيء ولم يؤثر ذلك عليه.

ويقول أبو عبد الحميد: كان وقت العمل لا يعرف المزاح، حتى تخاله شخصا غير الذي تعرفه، وكان لا يداهن أحدا.

ويقول الصيدلي: كان حريصا على التعلم، يحضر دروس العلم ويبذل جهدا كبيرا ليتعلم، حتى إن الدفتر الذي يكتب عليه كان يثقب من ضغط القلم، فقد كان أبو طارق بعيد العهد بالكتابة، وكان يعمل طيانا (مُلَيِّس) قبل الثورة، وهذا العمل يورث قوة كبيرة في اليدين، مما يؤدي إلى ثقب الورقة أثناء الكتابة عليها، وكان

ذلك عندما افتتحنا معهدا لتدريس بعض مباحث العقيدة، فكان الشيخ أبو عدنان يدرس مبحث الإيمان، والشيخ أبو خالد يدرس مبحث الولاء والبراء، والشيخ أبو محمد حسان يعطي مبحث التوحيد.

يقول الشيخ أبو سارية: كان قليل الكلام كثير الفعال، خلوقا مهذبا، بارا بوالدته لم ينقطع عن تلبية حاجات أهله حتى بعد زواجه، كان يطلب مني تعليمه التلاوة والتجويد، وقطع شوطا في حفظ القرآن، ولم يكن يفوت درسا في العقيدة أو السيرة أو الفقه.

ويقول الصيدلي: كان محبا لقيادته شديد السمع والطاعة، يبادر إلى إغاثة إخوانه، فقد نزل مرة الشيخ أبو عدنان ومعه ستون شابا عبر مجرور ليقوموا بعمل خلف خطوط العدو، إلا أنهم كُشفوا فعادوا من الطريق ذاته، ونزل الشباب إلى المجرور، وقبل أن ينزل الدليل أصيب بقذيفة بترت رجله وتعذر إنزاله، فاضطر الشباب إلى تركه، فأخذ يكلمني عبر القبضة، ويقول: جدوا لي حلا، فاستنفرت أبا طارق فاستنفر الشباب والثقيل المتوفر من دبابات وبي إم بي وشيلكا، وعزمنا على التوجه إلى العدو بعملية شبه انتحارية، ثم تظاهر بالموت فجاء ثلاثة من عناصر الحزب فقام بفتح النار عليهم وقتلهم جميعا، ثم ركب سيارتهم ــ وهي توماتيك ــ وانطلق، فأخذت الحواجز تفتح له الطريق ظنا منهم أن من بداخلها هم من الحزب والسيارة معروفة لديهم، ولم يدركوا الأمر إلا بعد أن قطع آخر حاجز واتجه ليدخل مضايا، ولكن الأمر كان قد فات فقد دخل مضايا وعالجه الشباب هناك.

ويقول: أثناء المجاعة كان يحاول الحصول على الطعام بكل طريقة مشروعة ممكنة، حتى إنه استطاع أن يشتري من العدو ألف ومائتي كيلو غرام من الطعام وادخرهم لوقت اشتداد الأزمة، وبالفعل عند اشتدادها كنا نطبخ منهم كل يوم خمسة وعشرين كيلو ونطعم من تبقى في الزبداني كي نحفظ حياته فقط، أما الشبع فهيهات هيهات.

وذات مرة وجدناه يغلي لنا شيئا على المدفأة، فقلنا ما هذا: فقال وجدت عرقسوس مطحونا وهو يحتوي على السكر، والسكر عندنا من أهم الأمور، فسقانا منه، وذات مرة وجد قهوة شقراء (نسكافيه) فسقانا منها وهي تحتوي على مواد دسمة.

ويقول: كان متواضعا يخدم إخوانه ويطبخ لهم وينظف الأواني ويشاركهم في سائر الأعمال.

ويقول أبو مالك: فقدنا الطعام مرة بشكل كامل، فبحث أبو طارق فوجد في بعض البيوت في زاويته قليلا من الأرز، وكأنه قد كنس وقد علته خروء العصافير، فأمضى وقتا طويلا في تنظيفه ووقتا في غسله، ثم طبخه وقدمه لنا، وكان يذهب مع الشباب ليحضر الأعشاب وورق الشجر.

ويقول: كان يشرف على حفر الأنفاق في بداية الهدنة، ويشارك في الحفر، كما كان ينوب عن غيره في الرباط إذا حبسه عن ذلك عذر، والنوبة من المغرب إلى الفجر.
ويقول أبو مصعب: كان أبو طارق لا يحب الظهور، مع أنك تجده في جميع الأعمال، وهو نشيط جدا ومتفان في عمله، وإذا أردت إنجاز عمل فأول من يتبادر إلى الذهن تكليفه أبو طارق.

عبادته:

كان أبو طارق صاحب عبادة وإخبات، فقد كان يصوم يومي الاثنين والخميس، ويقوم الليل، ويرابط في النقاط مع إخوانه.

يقول أحد إخوانه: كانت نوبتي في الرباط معه، وكان يبحث لنا عن سحور يومي الاثنين والخميس، وذات مرة افتقدته في النوبة، فبحثت عنه فوجدته -وكان يخلع الطرف الصناعي ليلا- واقفا على رجل واحدة يصلي، فوقفت جنبه أصلي حتى تعبت جدا وهو لا يزال واقفا على رجل واحدة، حتى قرأ سورة النساء كاملة، وكان يقرأ من هاتفه.

ويقول أبو علي ت11: كان لا يريد أن يتعاطف أحد معه مشعرا إياه بالنقص، فقد كان بعض الشباب يحضر له كرسي ليصلي، فيقول: لا حاجة لي بذلك، أنا سأصلي واقفا. ويقول أبو مالك: كان له ورد من القرآن لا يتركه.

ويقول عرض الحزب اللبناني الرافضي على عدد من الشباب منهم أبو طارق أن يعطيهم مائة ألف دولار ويحضر لهم أهلهم من مضايا -إن كانوا فيها- وجواز سفر يسافرون به وأهليهم حيث شاؤوا من دول أوربا، فرفض ذلك بإباء المؤمن وعزته، فقال ضابط الحزب: الحمد لله أنه ليس في الثورة كثير من أمثال هؤلاء.

وقد كان أبو طارق حريصا على الجهاد بنفسه وماله، فبندقيته اشتراها من ماله، وسخر سيارته في العمل الجهادي.
يقول أبو علي ت 11: عند تشكيل المهام الخاصة كان يعمل بسيارته، وقد تغيرت كثيرا بسبب وعورة الأرض حتى لم تعد تُعرف.

استشهاده:

بعد أن أبرمت الهدنة مع النظام في الزبداني ومضايا، وربط ملفهما بملف الفوعة وكفريا -وذلك بعد يئس النظام تماما من إمكان السيطرة عليهما عسكريا وهلاك أعداد كبيرة من جنوده وضباطه وقوات حزب الرافضة اللبناني والقوات الشيعية الرديفة-، توقفت الحملة الشرسة، لكن النظام كان كثيرا ما يقصف الزبداني ويقنص مجاهديها، وفي أحد الأيام وهو اثنين أو خميس كان أبو طارق صائما، فذهب لحل مشكلة ما، وظل ساعتين مع القاضي، وبعد فراغه أراد العودة إلى المقر، فصلى العصر ثم خرج من المسجد، فمر بمكان مكشوف على قناص النظام، فأطلق عليه رصاصة أصابت صدره مما أدى إلى استشهاده، وذلك في عام 2016 ، ودفن في الزبداني.
يقول أبو سارية: لما أصيب سمع القريبون منه صوته وهو يكبر ثم فاضت روحه، واعتبر الحزب اللبناني الرافضي نفسه حقق إنجازا عظيما بقتله، فأخذت حواجزه تطلق النار علينا بكثافة؛ فرحا بمقتله، فقد كان أبو طارق وإخوانه قد أذاقوا النظام وأحلافه الويلات طوال ست سنوات.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الطويلة الشاقة في درب جهاد ارتقت روح أبي طارق إلى بارئها؛ ليخط اسمه في سفر الشهداء الأبرار الذين ما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا.

لم يعق أبا طارق عن متابعة دربه بتر رجله، ولم يثنه عن المضي قدما في طريق الجهاد كثرة الجراح التي نالت من جسده الواهن.

لم يغر أبا طارق بريق المال الجزيل الذي عرض عليه، ولم تغوه الراحة التي تنتظره في أوربا لو قبل العرض المقدم من الرافضة، فهو لم ينظر إلى الدنيا وزينتها إلا بعين الشريعة، فهي ليست إلا أقل من جناح بعوضة.

بلغت المسغبة بأبي طارق حدا يفوق التصور، وتحت يده مستودعات الطعام والشراب، وبإمكانه أن يتناول ما يشاء دون أن يشعر به بشر، ولكنه أبى أن يخون رفاق الجهاد والسلاح، وظل مستحضرا عظمة الله في قلبه مستشعرا الرقابة الإلهية، فلم يتناول حبة دونهم، بل قاسمهم ما عثر عليه من الأرز والسوس والقهوة المركزة (النسكافيه).

رحم الله أبا طارق وتقبل منه جهده وجهاده وتضحيته وجراحه، وجمعنا به مع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

الفهرس

المقدمة 1
ولادته ونشأته 2
التحاقه بالثورة 3
المعارك التي شارك فيها 3
بتر رجله 4
اعتقاله في لبنان 6
تسلمه المسؤولية في الجبل الغربي 6
عملية نوعية 9
أخلاقه 11
عبادته 14
استشهاده 15
الخاتمة 16